الملتقى الوطني:
الاستغراب المعاصر في الفكر والأدب
قراءات في النظرية والمنهج
جامعة عباس لغرور خنشلة
يوم: 15 أكتوبر 2025

عنوان المداخلة: صورة الشرق والغرب في المتخيل الرّحلي الجزائري المعاصر كتاب "جنائن الشرق الملتهبة (رحلة في بلاد الصقالبة)" لـ"سعيد خطيبي" أنموذجا

د. ريمة كعبش(أستاذ محاضر أ)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

ملخص المداخلة:

يعتبر أدب الرحلة من الفنون النثرية القديمة التي ينقل فيها الكاتب الرّحالة انطباعاته عن البلدان التي زارها، وعادات وتقاليد وثقافة أهلها، بطريقة ممتعة ومسلية، وكتاب "جنائن الشرق الملتهبة(رحلة في بلاد الصقالبة)" يندرج في إطار الأدب الرّحلي الجزائري المعاصر، حيث سجّل فيه "سعيد خطيبي" تجربته الخاصة عند رحلته إلى بلاد الغرب، هذه الرحلة التي أتاحت له معاينة الآخر المختلف ومعرفته، فانعكست في هذا العمل الأدبي صورة الشرق والغرب معا، فكيف ينظر الشرق إلى الغرب؟ وكيف ينظر الغرب إلى الشرق؟ وما طبيعة العلاقة بينهما؟

كل هذه الأسئلة وأخرى سنحاول الإجابة عنها في المداخلة التي سنتقدم بها.

مقدّمة:

استحضرت الكثير من الأعمال الأدبية العربية سواء كانت قصصية أو روائية أو رحلية ثنائية الشرق والغرب وقدمت صورة عنهما، كما جسدت العلاقة بينهما، فكيف تم تقديم الشرق؟ وكيف تم تقديم الغرب؟ وكيف هي العلاقة بينهما؟

يمثل كتاب "جنائن الشرق الملتهبة (رحلة في بلاد الصقالبة)" لـ"سعيد خطيبي" واحدا من تلك الأعمال التي تندرج في إطار أدب الرحلة، فقد استحضر بين جنباته ثنائية الشرق والغرب، وقدّم تصورات ورؤى الطرفين عن بعضهما البعض، كما تحدث عن العلاقة بين هذين الطرفين.

وقبل أن نقف على ما قدمه الكاتب" سعيد خطيبي" في كتابه حول الشرق والغرب، لابد أولا من الوقوف على مصطلحي الشرق والغرب، فمن هو الشرق؟ ومن هو الغرب؟ وكيف ينظر كل منهما إلى الآخر؟

1/ مفهوم الشرق:

قدم "إدوارد سعيد" في العديد من كتبه حول الاستشراق الكثير من الأفكار عن الشرق، ففي منظوره أن الشرق هو: "جزء تكاملي من حضارة أوروبا وثقافتها الماديتين، فالشرق ليس لصيقا بأوروبا وحسب؛ بل إنه كذلك موضع أعظم مستعمرات أوروبا، وأغناها، وأقدمها، ومصدر حضارتها ولغاتها، ومنافسها الثقافي، وأحد صورها الأكثر عمقا وتكرار حدوث للآخر."[1]

والشرق في منظور "ضياء الدين ساردار": "يتشكل من الحضارات العظيمة التي تقع شرق: الإسلام والصين واليابان والهند."[2]

وهو عند "زاهدة محمد طه المزوري": "المناطق الخارجة عن محيط الغرب الأوربي"[3].

أما الشرق في تصور "قاسم السامرائي" : "اصطلاح ابتدعته أوربا لكل أرض تقع وراء حدودها شرقا إلى اليابان بيد أن هذا المصطلح بدأ يتزحزح عبر القرون ليقتصر في مفهومه العام والغامض أيضا على الشرق الأوسط وما في هذا الشرق من أديان(عدا النصرانية لأن الفكر الأوروبي لا يحب ربطها بالشرق)، وثقافات أو حضارات مختلفة."[4]

الشرق بهذه المعاني مصطلح يعني مجموع الدول التي تنتمي إلى العالم الشرقي، في آسيا، وإفريقيا، وحوض البحر الأبيض المتوسط، وبعض الدول من أوروبا الشرقية. ودراستنا هذه ستنصب على نظرة الغربي للشرقي العربي، دون سواه.

2/ مفهوم الغرب:

يرى "حسن حنفي" أن "الغرب لفظ سياسي يوضع - عادة - في مقابل الشّرق؛ سواء من الناحية السياسية أو من ناحية الطابع الفكري العام"[5].

فالغرب يشمل مجموع "الدول الغربية وأممها وشعوبها، وهذه الدول محددة وفقا لمعايير النّظام الاقتصادي الليبرالي والانتماء السياسي لمعسكر مناهض للمعسكر الشرقي بمفهوم الحرب الباردة وثقافتها."[6]

كما يمثل الغرب "مجموع الدول التي شاركت في الحروب الصليبية، و تشمل كل من: ألمانيا، إسبانيا، البرتغال، بريطانيا، بلجيكا، فرنسا، هولندا، كما تدرج كندا، وأستراليا، والولايات الأمريكية المتحدة في إطار الدول الغربية ." [7]

فالغرب بهذه المعاني مصطلح يدل على مجموع الدول التي تنتمي إلى العالم الغربي، ومصطلح العالم الغربي يشير بشكل عام إلى دول الإتحاد الأوروبي، والولايات المتحدة، وكندا، وأستراليا، ونيوزيلندا، وأوروبا الوسطى، ويضم أيضا أميركا اللاتينية، والبلقان، وتركيا، وأرمينيا... والذي يهمنا في دراستنا هذه هو نظرة الغربي(الذي تمثله كل هذه الدول) إلى الشرقي العربي.

إن "الشرق أو الغرب كينونتين متناغمتين متحجرتين؛ فكلاهما ذو طبيعة معقدة، تنطوي على شيء من الغموض، وهما غير متجانستين أبدا"[8] ؛ فالعلاقة بينهما هي علاقة مبنية بالأساس على الصدام والصراع منذ الأزل إلى يومنا هذا.

فيما يخص الشرق، فقد عكست الأعمال الأدبية العربية صورة الشرق في ذهنيات ومخيلات الشعوب الغربية، واتخذت بذلك شكل صور نمطية شائعة، " وكان لهذه الصور أن أظهرت العرب، في عين بعض الغرب، شعبا بدويا، غير مسيحي، بربريا ومتوحشا، يفتتح وينهب، في يده اليمنى السيف، وفي اليسرى القرآن."[9]

كما أن الشرقي في منظور الفرد الغربي يوصف بعدة صفات، بأنه ذلك " الثري، المزواج، العدواني، الغدار الذي لا يؤتمن"،[10] هذه الصور التي ألصقت بالشرقي العربي المسلم تحديدا هي صور نمطية سطحية خاطئة غالبا.

وقد قدّم الشرقي تصورات وأحكام نمطية عن الغربي،" فالغرب ثقافيا هو الانحلال الخلقي والتّفلّت والنواميس غير المضبوطة بضابط"،[11] فهذه التصورات قدمت بناء على علاقته به ثقافيا، وتاريخيا، وسياسيا، خاصة من خلال الاستيطان العسكري الاستعماري في الكثير من الدول العربية، والمواجهات والصراعات الدامية، وهي أيضا في كثير من الأحيان أحكام عبثية غير مدروسة يجب إعادة النظر فيها، وستتيح دراسة صورة الشرق والغرب" إدراك الشعوب للأوهام التي يكوّنها بعضها حول بعض، فتظهر عقلياتها من تلك الأوهام ما أمكن".[12]

تراوحت صورة الشرق عن الغرب بين صور سلبية وأخرى إيجابية، حيث "كانت الصورة الغالبة الأولى هي صورة الغرب الاستعماري، وهي صورة مشوهة وقائمة في ذاكرة العقل العربي، أما الأخرى فهي صورة للغرب الحضاري، يبدو فيها ذا ملامح إيجابية غلب عليها الانبهار بالحضارة الجديدة وبالوافد الجديد، وربما كانت أحيانا صورة غامضة يحار فيها العقل في مجال تصنيفها إيجابا وسلبا."[13]

فتارة ينظر إلى الغربي بأنه مستبد ظالم متوحش من خلال سياسته الاستعمارية في الكثير من البلدان العربية، فتعكس الأعمال الأدبية رفضه وقطع الصلة به، وتارة ينظر إليه على أنه متقدم ومتحضر من خلال نمط حياته وطريقة تفكيره، فتعكس الأعمال الأدبية قبوله والدعوة إلى اتباعه

والاقتداء به من أجل السير في الركب الحضاري، والانخراط في التقدم العلمي والتطور التكنولوجي الذي يشهده المجتمع الغربي في مختلف المجالات والأصعدة.

انطلاقا من هذه الأفكار والتصورات حول الشرق والغرب، نطرح التساؤل الآتي:

كيف هي نظرة الشرق للغرب في كتاب "جنائن الشرق الملتهبة (رحلة في بلاد الصقالبة)" لـ"سعيد خطيبي"؟

1/ نظرة الشرق للغرب:

يمثل كتاب "جنائن الشرق الملتهبة (رحلة في بلاد الصقالبة)" نوعين من الأدب أدب الرحلة وأدب اليوميات، فالكاتب يحدثنا - بضمير المتكلم -عن رحلته إلى الغرب؛ إلى بلاد الصقالبة، ومن ناحية أخرى يحكي يومياته في هذه البلاد وما حصل له فيها.

يقسم الكاتب كتابه هذا إلى عدة فصول، فالفصل الأول المعنون بـ:"من البلقان.. إلى الميدان" [14]، يسرد فيه بداية رحلته إلى بلاد البلقان، وهذه البلاد تشمل في الأصل مجموعة من الدول وهي:(ألبانيا، البوسنة والهرسك، بلغاريا، الجبل الأسود، كوسوفو، مقدونيا، واليونان صربيا، كرواتيا، سلوفينيا، رومانيا، وتركيا)، ثم يتحدث عن رحلته إلى بلاد الصقالبة. يقول: "وحدها الصدفة قادتني إلى بلاد الصقالبة،"[15] فرحلته الصحفية(لأنه صحفي بالأساس)، حولّها إلى رحلة أدبية وفكرية.

هذا، وفي أثناء سرده يذكر لنا دوافع رحلته إلى الغرب. يقول: " من بحيرات سلوفينيا إلى سهول كرواتيا، ومن أزقة البوسنة والهرسك العتيقة إلى ساحات صربيا، تجولت بالسيارة برا في أرض الصقالبة(المسمّون بالسلاف)، وعبرت الحدود بحثا عن الملامح الحقيقية لدول تجمع بينها الجغرافيا، وتفرقها الصدامات الدينية و الإثنية، ثم طرت إلى أوكرانيا، أيام ثورة الميدان، وعشت، من الداخل، يوميات متقلبة، حيث التاريخ لا يمل من تكرار نفسه، وبالطرق نفسها: بالنار والدم."[16]

فالغرض من رحلته هذه هو استكشاف الدول والعلاقات التي تربطها ببعضها البعض، والكاتب في الحقيقة يجسد الرحالة الحقيقي، الذي يذهب في رحلة استكشافية إلى الكثير من الأماكن حاملا معه دفترا يسجل فيه الملاحظات والانطباعات عن تلك الأماكن، يقول: " عدة سفري جد بسيطة: حقيبة ظهر صغيرة، وضعت فيها بعض الملابس الضرورية، كاميرا رقمية، دفتر ملاحظات، خرائط حديثة، للطرقات ومواقع محطات البنزين، وقواميس جيب للمحادثة السريعة بلغات الدول التي زرتها، و التي وجدت لاحقا أنها تشترك مع بعضها بعضا في كثير من المصطلحات، كلمة "دوبردان" مثلا تعني "صباح الخير أو مرحبا"، تقال في الصبح وبعد الظهر، في كل دول يوغسلافيا سابقا، وتصير دوبردين بالأوكرانية، و "لاخكو نوتش" تعني "ليلة سعيدة" في كل بقاع الصقالبة، فأصل اللغات السلافية واحد، ترجع كلها إلى المنشأ الهندو-

أوروبي، واللغة تمثل عنصرا محوريا في المكون الهوياتي لكل واحدة من الدول التي شملتها الرحلة، الدفاع عنها هو دفاع عن الأرض والتاريخ والحق في الاستمرار."[17]

فقد استنتج خلال الرحلة أن الكثير من البلدان التي زارها تشترك في بعض المصطلحات، واللغة تكاد تكون واحدة.

يعبر الكاتب في الكثير من المواضع السردية عن إعجابه الكبير بالبلدان الغربية، لجمالها وسحرها، فتطفو على سطح النسيج الأدبي النظرة الانبهارية. يقول: "وليوبليانا تتزين لزوارها بتزيين قلعتها، مقر إقامة دوقية كارينثيا قديما، والواقعة على ربوة، تسرق انتباه السائح، وتلح عليه بزيارتها، مع أنها من الداخل تبدو جد عادية، بباحة واسعة، وأعمدة رومانية وفسيفساء معمارية متنوعة، فقد عرفت كثيرا من الرتوش والتغييرات على مر وجودها."[18]

وخلال زيارته للبلدان الغربية يعبر الكاتب عن نظرته للآخر الغربي، بأنه يحترم البيئة، مشيرا إلى اختلافه عن الأنا العربي الذي لا يهتم بالعنصر البيئي. يقول: "قطع شجرة من دون إذن يعتبر جنحة، لا يتسامح معها المشرع، تمنيت لو أن دولا عربية اقتبست من سلوفينيا القانون نفسه وفرضته على سماسرة المساحات المزروعة، الذين حولوا كثيرا من المدن العربية إلى مساحات شاسعة من الخرسانة، يندر فيها اللون الأخضر."[19]

فالكاتب في كثير من المواضع السردية يعقد مقارنة بين الغرب والعرب في مجال معين، مشيرا إلى أن الغربي متفوق على العربي في الكثير من المجالات، ويدعو من خلال سرده العرب بأن يسايروا الغرب في نمط معيشتهم وطريقة عملهم حتى يكونوا في المستوى الحضاري المطلوب.

تعكس لنا الرحلة صورة مشرقة عن الغرب؛ بأنه منظم ونظيف من خلال الحديث عن الأسواق الشعبية وسلوكات الباعة فيها. يقول الكاتب: "كان يجتمع باعة الخضر والملابس والأغراض المنزلية، في سوق شعبية صغيرة مفتوحة على الهواء الطلق، تلتئم في السادسة صباحا، وتنقضي عادة في حدود الرابعة بعد الزوال، ولما يغادر الباعة المكان فلن نجد وراءهم بقايا مرورهم، و لا أكوام قمامات، مثلما يمكن أن نشاهده في الأسواق العربية، التي تبدأ عادة بشكل منظم، وتنتهي بشكل فوضوي... في السوق الزاغربي التجارة تخضع لمعايير تنظيمية صارمة، والعملية تتم في ظروف نظيفة وصحية، بشكل يحافظ على الوجه الحسن لوسط البلد." [20]

فالأسواق الشعبية الغربية – في منظور كاتب الرحلة- تختلف عن الأسواق العربية، التي تتسم بالفوضوية وغياب شروط النظافة. وبهذا فالكاتب يعقد مقارنة بين الغرب والعرب فيظهر الغربي في صورة جميلة مقارنة بالعربي الذي يظهره في صورة مناقضة.

يعبر الكاتب عن إعجابه بسراييفو، وبطريقة تعامل أهلها، فأهل سراييفو يحبون بلدهم، ويخافون عليه من كل معتدي، كما يحبون بعضهم البعض، مما يدل على تكافلهم وتضامنهم. يقول: "الحياة هناك، رغم ما يرافقها من قلق، تشعر المقيم فيها بثقة في النفس وباعتزاز بالماضي. فهي ليست متوحشة في مظهرها كما هو الحال في زاغرب ولا متربصة بزوارها مثل باريس، بل هي خاشعة وصادقة في حبها وكرهها إن وجد. مرنة في تواصلها وغيورة على أبنائها أكثر من غيرتها على نفسها. سراييفو تحيا على ذكرى أسماء من مر بها، وكرونولوجيا العبث الإنساني الذي عاشته وماتزال تعيشه اليوم. هي نقطة الفصل بين الدهشة والارتباك."[21]

يقدم الكاتب صورة أخرى عن الآخر الغربي وكيفية معاملته للغريب عن البلد، العابر والسائح، فكلاهما يعاملان معاملة طيبة، ومن جهة أخرى يعقد مقارنة بين العرب والغرب، حيث يقترب الغربي من المثالية. يقول: "وبمواصلة الطريق الصاعد دائما سنجد أنفسنا أمام مقر برلمان، يختلف تماما عما نراه حول برلمانات عربية، حيث الحراسة الأمنية تقتصر على شرطيين اثنين. رجل وامرأة، كانا يقومان بدور المرشد السياحي، أكثر من دور رجل الأمن، يردان على أسئلة المارة عن بعض الاتجاهات بابتسامة، يرشدانهم، ويلتقطان أيضا صورا لمن أراد. صورة الشرطي الكرواتي مع العابر والسائح، كانت صورة جد مثالية، استثنائية، تبتعد عن النمطية التي تعودنا عليها عربيا، ومنطق الأمر والنهي في علاقته بالمواطن. كلا الطرفين يشعر بأمان تجاه الآخر، والتواصل بينهما ينتقل من دائرة البروتوكولية إلى دائرة الحميمية."[22]

فالغربي هنا، يبدو طيبا، متسامحا، آمنا، متقبلا للآخر كيفما كان، علاقته بالغريب علاقة اتصال، في حين أن العربي علاقته بذويه أو بالآخر الغريب هي علاقة انفصال.

كما يظهر الآخر في مظهر الإنسان المتسامح المنفتح على الديانات الأخرى، وهذا عند حديث الكاتب عن مفتي مسلمي كرواتيا الكرواتي: سيفكو آفندي عمرو باشيتس. يقول: "فمفتي مسلمي كرواتيا وقت زيارتي إليها سيفكو آفندي عمرو باشيتس، الذي ولد في البوسنة ودرس في ليبيا، معروف عليه الانفتاح على مختلف الديانات. كما أن المسجد نفسه يظل محور تجاذبات بين دول إسلامية مختلفة، تحاول كل واحدة منها كسب رهان التأثير عليه، وبالتالي كسب نفوذ على مسلمي البلد."[23]

يعبر الكاتب عن انبهاره بالغرب، وذلك عندما يسرد لنا ما وجده في غراد؛ في قصر الزعيم والحاكم تيتو من كتب كثيرة كان يقوم بقراءتها ومطالعتها، فيبدو الكاتب مندهشا لما رآه متسائلا في الوقت ذاته عن الحكام العرب وعلاقتهم بالكتب والقراءة. يقول: "ما أثار انتباهي في قصر الزعيم هي المكتبة، التي تكشف عن روح مبدع، وربما وقع تيتو نصوصا ووريت التراب معه. يكفي أنه كان يجد وقتا ليقرأ، في انتظار أن يخبرنا رؤساء العرب أيضا ماذا يقرؤون؟."[24]

تجدر الإشارة إلى أن الكاتب وهو يحدثنا عن الغرب يبدو واقعيا وموضوعيا إلى أبعد الحدود، فهو لم يكتف بذكر الجانب المشرق في البلاد الغربية، بل أخذ يحدثنا عن الجانب المظلم في هذه البلاد، وهذا عندما سرد لنا حقيقة الحياة في الغرب في سراييفو، فالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية سيئة على الإطلاق، حيث يفكر أبناؤها بالهجرة إلى بلدان أخرى بحثا عن العمل والعيش الكريم. وبهذا تتكون في ذهن القارئ مجموعة من الأفكار عن الآخر الغربي ونمط معيشته التي هي صعبة للغاية عكس ما كان يظنه؛ بأن هذا الآخر يعيش حياة جيدة. يقول: " فالوضع العام لا يشجع على العيش الجيد. بحسب أرقام متداولة، فإن نسبة البطالة بين الشباب تتجاوز60/، والدراسة لا تشكل بالضرورة طوق نجاح، بسبب رفض المؤسسات الرسمية المحلية والدولية الاعتراف بشهادات بعض الجامعات والمعاهد الخاصة المنتشرة في المدينة."[25]

فتوغل الكاتب في البلدان الغربية وتواصله مع أهلها ومعرفته لعقلياتهم وطرق عيشهم مكّنه من الكشف عن الوجه الآخر لهذه البلدان، فهكذا يحدثنا عن سراييفو بقوله: "خلف أسوار وسط المدينة تبدأ معالم الوجه الآخر من سراييفو. حياة بسيطة، فقيرة، صعبة، تعتمد على الزاد القليل للاستمرار في الوجود. وراء الوجه السياحي المنمق للمركز، يغرق الهامش في تناقضات معيشية عميقة، فمتوسط دخل الفرد لا يتجاوز ثلاثمائة أورو، وفرص الشغل والتفكير في تأسيس حياة مستقلة مستقرة للشباب هي طموحات غير متوفرة، وإمكانيات التغيير ليست متاحة، هكذا تغطي سراييفو خجلها من فقرها بصور سياحية لامعة، تأسر زوارها القادمين من بعيد، والذين لا يعرفون عنها الكثير. في الظل، تتسع أحياء غير مهيأة، وطرقات غير معبدة، وأعين تترقب غدا أفضل طال وصوله...بعيدا عن الحي والعائلة الكبيرة، في سويسرا أو فرنسا أو بريطانيا أو أمريكا أو غيرها. [26]

يرى الكاتب أن الحياة في الغرب مضطربة، فالخطر يهدد الغربيين باستمرار، أي إمكانية وقوع حرب أخرى واردة بقوة. يقول: "الشيء اللافت للانتباه هناك أيضا تواجد قوات حفظ السلام الدولية، التي لم تنته مهمتها رغم انتهاء الحرب، فشبح عودة الصدامات لا يزال يخيم على المنطقة، والفصل بين الجماعات المتقاتلة سابقا ما يزال أولوية يراهن عليها المجتمع الدولي... نجد وحدات من التنظيم العسكري نفسه في مدينتي توزلا وبانيا لوكا الشماليتين، حيث تبقى احتمالات عودة اللاأمان قائمة."[27]

فالآخر الغربي يعيش حالة من الخوف والقلق والترقب، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الحياة غير مستقرة في الغرب.

يظهر العمل الرحلي الجانب المظلم في علاقة الغربي بالعربي، بأنها علاقة مضطربة، تنعدم فيها الثقة، فالعربي لا يثق في الغربي، ويشك فيه دائما. يقول: "جلست في مقهى مجاور، واقترح علي النادل من تلقاء نفسه، بعدما سلمني قائمة الطعام، أن أجرب كارمشنيتا وهي حلوى المنطقة الشهيرة، تشبه قليلا حلوى ميل فاي الفرنسية. اعتقدت أن النادل يحاول النصب علي، وهي ردة فعل طبيعية من

مواطن عربي تعود أن يجد نفسه ضحية للاحتيال في بعض المصايف، لكن الحلوى كانت فعلا لذيذة، وثمنها لا يتجاوز واحد أورو ونصف أورو."[28]

يحدثنا الكاتب في هذا المقطع السردي عن العربي الذي يتعرض للاستغلال من قبل الغربي، فيظهر الغربي في مظهر المخادع والمحتال، لكن في نهاية المقطع يظهر في مظهر الصادق الأمين، وبهذا تنتفي فكرة الاستغلال والاحتيال والكذب على العربي.

يكشف الكاتب في رحلته، عن علاقته بالآخر الغربي؛ عن نماذج بشرية أخرى سيئة، فالآخر لا يعامل العربي معاملة حسنة، يبدو صارما معه إلى أبعد الحدود، لمجرد أنه عربي. يقول: "بدا لي الشرطي غير مهذب في تعامله أو ربما هو واجب المهنة وضرورياتها وتعليماتها، ما فرض عليه سلوكيات صارمة ! لست أدري! دعوت الله أن لا أصادفه مجددا وواصلت الرحلة."[29]

يظهر الآخر هنا بمظهر الإنسان القاسي، غير المهذب، وبأنه كاره للعربي ورافض له، وأن العربي ليست لديه أي رغبة في التواصل معه مرة أخرى، مما يدل أيضا على رفضه وعدم قبوله.

يتحدث الكاتب في الكثير من المقاطع السردية عن سوء المعاملة من قبل الآخر الغربي. خصوصا عند وقوفه في نقطة التفتيش الحدودية، فقد تكررت هذه المعاملة السيئة أكثر من مرة، وهذا يدل على رفض الآخر للأنا العربي، وللغريب، وبأن هذا الأخير هو دائما محل شك يجب الحذر منه يقول: "وأنا أقف أمام نقطة التفتيش الحدودية. أطل عليّ الضابط الصربي برأسه، وسمعت صوت موسيقى خافتة يصعد من نافذة مكتبه الخشبي الصغير. بدا لي كما لو أنه كان يشعر بملل، فقد كنت لحظتها العابر الوحيد لحدود البلدين، لا أحد أمامي ولا أحد خلفي، كنت وحيدا في سفري بين ضفتين متنافرتين. طلب مني جواز السفر، قلّبه بين يديه، نظر إلى التأشيرة، تأكد من التاريخ المدون فيها ثم شرع في الأسئلة: لماذا جئت من البوسنة، ماذا كنت تفعل هناك؟، كم يوما قضيت هناك؟ ، كان شرر يتطاير من عينيه، علامات تعجب تطفو على محياه. توجب علي أن أشرح كل القصة، ومن البداية، وبأنني جئت فقط في رحلة إلى البلقان، وليست لدي نوايا سياسية ولا انتماءات، وكان يمكنني بدء الرحلة من صربيا قبل البوسنة، ولكن حصل العكس لأني قدمت إليها من جهة الغرب. صمت ونظر إلي ثواني، ثم ختم الباسبور وسمح لي بالمرور وما كاد يفعل. ربما هو لم يتعود على حالات مثل حالتي، لكن كان من الأنسب أن يتحلى ببعض اللباقة في التعامل، ففي النهاية لم يكن يوجد سبب واحد لمنعي من زيارة البلد، وضعي كان شرعيا، مطابقا للقانون المتعامل به".[30]

يظهر الأنا العربي في هذا المقطع السردي في مظهر الإنسان الطيب، المحترم، المهذب، اللّبق، في حين يظهر الآخر الغربي في مظهر الإنسان الشرس، المتوحش، القاسي، الغير مهذب، وغير اللبق، كما أنه يبدو رافضا للعربي وللغريب معا.

وبهذا، " يقدم الآخر نفسه كل مرة في كينونة مختلفة، تبعا للزاوية التي وضع فيها صاحب الدعوة . لكن نسبية الآخر هذه لا تقتصر على التفاوت في المستويات. إنها تتوغل، أحيانا، في اختلاف المدلولات والمضامين."[31]

هكذا كانت نظرة الشرقي للغربي، فكيف كانت نظرة الغربي للشرقي في كتاب "جنائن الشرق الملتهبة"؟

2/ نظرة الغرب للشرق:

فيما يخص نظرة الغربي للعربي، فالكاتب يشير في الكثير من المواضع السردية إلى أن الآخر الغربي يتقبل العربي ولا يرفضه تماما، فهذا المقطع السردي يتحاور فيه الغربي مع العربي بكل انسيابية ولا يتهرب منه ولا ينزعج منه . يقول: "التقيت باستيان(22 سنة)، الذي تقدم نحوي ليسلمني بطاقة دعوة لحضور حفلة راب، كانت ستقام الليلة ذاتها، في المكان نفسه، يشارك فيها رفقة شباب هاو من مختلف أنحاء المدينة. ودون مقدمات انخرطت في دردشة مع باستيان، الذي كان يرتدي قميص فريق شيكاغو بولس الأميركي الأحمر، وقبعة صفراء، حيث تحدثنا عن الراب وعن فرقته الفتية، كما حدثني عن ميتيلكوفا الذي كان حيا عسكريا..."[32]

لكن في المقاطع السردية الأخرى يعبر الكاتب عن استيائه من الآخر الغربي، لأنه لا يأبه به، ولا ينظر إليه، فيظهر هذا الآخر بمظهر الإنسان المتكبر المتعالي الذي يرى نفسه مركزا وما دونه هامش. يقول:" وأنا أقف أمام الشرطية السلوفينية الصامتة، التي ختمت جواز سفري دون أن تنظر في وجهي."[33]

ويحدثنا الكاتب أيضا في مقطع سردي آخر عن ما حصل له في محل بيع الكتب من قبل الآخر الغربي. يقول: " في ليوبليانا وجدت ضالتي في محل كتب عتيق، يقع على ضفة ليوبليانيتسا، تشرف عليه سيدة عجوز، ملامح وجهها تشي أنها تجاوز السبعين. بمجرد أن تخطيت عتبة المحل حتى رمقتني بنظرة شاملة، من الأسفل إلى الأعلى، دون أن ترد على تحيتي: دوبردان ! ."[34]

فكما يبدو أن الآخر الغربي لا يهتم بالأنا العربي، ويرفض الحديث معه مما يدل على تعاليه وتكبره وعدم قبوله بالغريب، وبالعربي على حد سواء.

تظهر الرحلة عدم اهتمام الغربي بالعربي، وذلك عندما يسرد لنا الكاتب قصة الحاكم السياسي تيتو الذي تخلو مكتبته من الكتب الأدبية العربية. يقول: "ولكن، رغم العدد الهائل من الكتب، لم أصادف اسم كاتب عربي واحد في المكتبة نفسها، رغم العلاقات الجيدة التي كانت تجمع تيتو مع قيادات دول عربية." [35]

إن العربي في البلدان الغربية مشكوك فيه دائما ومعرض باستمرار للمساءلة والمراقبة، كما يتعرض للظلم من قبل الآخر على الرغم من أن العربي منظم ويحترم القوانين. يقول: "عبر الحدود الفاصلة بين

دولتي سلوفينيا وكرواتيا، لم يمر دونما مماطلة دامت أكثر من نصف ساعة، ومماطلة من طرف الحرس الكرواتي، رغم أنني وصلت الحدود بعد حوالي شهرين من ترسيم انضمام كرواتيا للاتحاد الأوروبي...جاء الشرطي مكتئب الوجه وصارم النظرات يسألني بلهجة مقتضبة، عن اسم ولقب والدتي، وعن عنوان إقامتي في الجزائر، والفندق الذي سأقيم فيه في زاغرب. معلومات بوليسية بامتياز. سجل إجاباتي على ورقة منفصلة ثم اختفى مجددا خلف باب مكتبه الصغير. بعد عشر دقائق عاد ومعه الجواز مختوما. سلمه لي دون أن ينطق بكلمة واحدة. من جهتي رددت فقط بـ: HVALA(شكرا) خافتة." [36]

كما يحدثنا الكاتب عن الممارسات التفريقية بين الغربيين والعرب، بما يدل عل التمييز العنصري بين الجنسين، وبأن العرب مرفوضون في البلاد الغربية . يقول: "عند المعبر، بعد رحلة دامت حوالي ساعة قدوما من ليوبليانا، مرورا ببلدة بريجيس الحدودية، وجدت أمامي أفواجا من السيارات النفعية وشاحنات السلع بلوحات ترقيم سلوفينية، إيطالية، ألمانية ونمساوية تمر دونما حرج، في الاتجاهين، بشكل انسيابي ودونما توقف. بمجرد وصولي، توقفت أمام نافذة الحرس الصغيرة، سلمت جواز سفري الجزائري الأخضر، مرفقا ببطاقة إقامة مؤقتة في فرنسا. حدّق الشرطي بضعة دقائق في الوثيقتين، قلّبهما، ثم نادى على زميل له يسأله ترجمة معلومات الجواز المكتوبة بالفرنسية والعربية، وطلب مني أن أركن السيارة جانبا، للسماح للسيارات خلفي بالمرور، وأنتظر. الانتظار في العرف الكرواتي يشبه الانتظار عند العرب: غير محدد زمنيا. بعد ربع ساعة، لم يظهر الشرطي نفسه، فنزلت من السيارة، أشعلت سريعا سيجارة، وسمعت شرطية تنادي من بعيد: NO SMOKING(ممنوع التدخين)فأطفأتها."[37]

يعكس الكاتب في رحلته نظرة الغرب للعرب بأنها نظرة استنكار واستغراب ودهشة؛ عن سبب وجود العربي في البلدان الغربية. يقول: "أمسك حرس الحدود البوسني جواز سفري. قلبه يمينا وشمالا. حاول أن يقرأ ما هو مكتوب بالعربية والفرنسية. سألني:alzirski (جزائري !) أجبت بنعم صامتة. أطل على ترقيم السيارة السلوفيني ثم نادى على زميل له: انظر، إنه جزائري ! قال. رد عليه الزميل : إنه مسلم. أنظر إلى اسمه. لم أتدخل في حواريهما. بقيت فقط أحدق فيهما وأنظر على جانبي إلى الناس...أعاد الشرطي نفسه النظر في ترقيم السيارة الثانية، وأنا أحدق فيه دائما بصمت. في سلوفينيا، أذكر أن أحدهم حذرني من الذهاب إلى البوسنة بسيارة تحمل ترقيمها كرواتيا أو صربيا، مع ضرورة تجنب كرواتيا أيضا بسيارة من ترقيم صربي أو بوسني، فدول الجوار الثلاث لم تضمد جراحها بعد. سلمني أخير الجواز دون ختم، ولم أتحدث إليه."[38]

إن العربي دائما محل شك من قبل الغربي، إذ يتم التحقيق معه فيبدو وكأنه مجرم، وبهذا فهو يعامل معاملة سيئة لمجرد أنه عربي غريب. يذكر الكاتب ما حصل له في مطار كيف مع الجنديين قائلا: "في مطار بورسبيل الخالي لحظتها من الطائرات، عدا من طائرة الخطوط النمساوية بدا الوضع مريبا. في الداخل لم تكن صالة الواصلين تعج بحركة طبيعية كما يمكن أن نتخيلها في مطارات أخرى. كان جنديان أمام مدخل الصالة وطلب مني أحدهما التوجه مباشرة إلى رواق يؤدي إلى نقطة مراقبة جوازات سفر

تشرف عليه ضابطة في الجيش، بعينين غائرتين وشعر أصفر وملامح تتجاوز الأربعين. نظرت قليلا في الباسبور الأخضر ثم خاطبتني بالروسية. لم أفهم شيئا. فأعادت بإنجليزية خافتة سؤالي إن كنت أتكلم بالروسية. أجبتها بالنفي، وحاولت تدارك الوضع سريعا بالإمساك بجواز سفري، وإظهار الفيزا الأوكرانية، لكنها لم تتعامل معي بإيجابية ونادت على جندي آخر، قادني بدوره إلى مكتب تحقيق مجاور. دخل هو وبقيت أنا في الخارج أنتظر حوالي ربع ساعة، كنت خلالها أرى جنودا يدخلون ويخرجون من المكتب نفسه، لكني لم أستطع السؤال عن مصير التحقيق، فهم لم يكونوا يتكلمون فيما بهم سوى الروسية أو الأوكرانية. وجاء الفرج بظهور الجندي السابق نفسه حاملا الجواز. طلب مني مرافقته إلى الضابطة، التي ختمته سريعا ."[39]

يؤكد الكاتب في سرده ومن خلال تواصله مع الآخر الأجنبي، بأن هذا الآخر لا يعرف الكثير عن العرب وما الذي يحصل في البلدان الغربية، وهذا يدل على انشغاله بنفسه، وبمشاكله ومشاكل بلده، يقول: "الكروات الذين صادفتهم وتحدثت قليلا إليهم لا يعرفون الكثير عن العرب، لا يعرفون أن بلاد المتنبي والخطابي قد صارت ناطحات سحاب ومدنا بمقاسات عصرية.. ماذا يحصل في مصر؟ سألني صاحب المكتبة الخمسيني، بعدما عرف أني قادم من الجزائر. مصر في طريقها نحو الأفضل رددت عليه. فصمت. ثم سألني عن وضع السياسة وعن أسعار الفنادق وتكلفة السفر هناك. الناس في كرواتيا يحسبون تكاليف الحياة بالدورو، كما يقول المثل الجزائري، بالسنتيم والميلمتر. ويظهرون استياء وسخطا من أداء الحكومة، ومن زمرة السياسيين التي تحكم البلد، لكنه استياء مسالم، لم يبلغ درجة الثورة أو العصيان أو التمرد، فهم يراهنون، قبل كل شيء، على منجزاتهم الشخصية، لا على فضائل النظام عليهم، كما يحصل في بعض الدول العربية. يؤسسون لمشاريعهم الشخصية المستقبلية ويتأففون باستمرار من سياسة الضرائب، رغم أنها ما تزال رحيمة، وغير منهكة مقارنة بما هو عليه الحال في فرنسا مثلا."[40]

إن هذا الحوار الذي جرى بين الأنا والآخر أتاح لنا التعرف على هذين الطرفين، " فبالحوار وحده نستطيع اكتشاف ذواتنا أولا، والتعرف عليها جيدا، وتحديد أحجامنا وقدراتنا وإمكاناتنا، ومن ثم تطوير أنفسنا للحاق بركب التحولات والتطورات،" [41] كما أنه من خلال الحوار يتم إدراك الآخر، إذ أن "إدراك الآخر جزء من إدراك الذات، إدراكه كما هو وليس كما نريد، وإن تصوره وفهمه يطرح الآليات الصحيحة للتعامل معه." [42]

لا يظهر المقطع السردي الحواري المذكور آنفا وجهة نظر الغرب في العرب فقط، بل يظهر الفرق بين العرب والغرب في المجال السياسي، فالمجتمع الغربي يختلف عن المجتمع العربي في علاقته بالسياسة، إذ أن طريقة التفكير واتخاذ القرارات تختلف عند الغربي والعربي.

بعد معرفة نظرة الغرب للشرق، نأتي إلى طبيعة العلاقة بينهما، فكيف تمظهرت العلاقة بين الشرق والغرب في كتاب "جنائن الشرق الملتهبة(رحلة في بلاد الصقالبة)"؟

3/ العلاقة بين الشرق والغرب:

يتحدث الكاتب في رحلته عن العلاقة بين الشرق والغرب، ففي هذا المقطع السردي يؤكد اتفاقهما في الكثير من الميزات. يقول: "رغم ما يفصل بلاد الصقالبة عن بلاد العرب من اختلافات ثقافية، فإن ميزات مشتركة تجمع بينهما، وهو ما لاحظته مع تقدمي في الرحلة، والتي حاولت أن أختصرها في هذا الكتاب."[43]

فالكاتب يشير هنا إلى تقاطع العرب مع الغرب في الكثير من الزوايا، رغم اختلافهما العرقي والثقافي والفكري والجغرافي، كما يعبر عن رغبته في اكتشاف البلد الذي يزوره والوقوف على الفرق بينه وبين البلاد العربية: يقول: " ذابت التساؤلات مانحة المكان لرغبة ملحة في اكتشاف ملامح بلد لا يبعد جغرافيا كثيرا عن الضفة الجنوبية من المتوسط، وبلاد العرب، لكنه مختلف ثقافيا وسياسيا، يسميه البعض سويسرا الثانية، ويرى فيه آخرون ملجأ مريحا للهرب من ضغط الضفة الغربية من القارة العجوز."[44]

تبدو العلاقة بين العربي والغربي طيبة، وأن جسور التواصل بينهما ممدودة، فالأنا العربي لا يرفض الآخر الغربي، وعلى النقيض من ذلك، فإن الآخر الغربي لا يرفض الأنا العربي، فهو يتواصل معه، ويتخذه صديقا، وبهذا تنتفي فكرة العدائية بين الشرق والغرب. يقول الكاتب: "رأيت باستيان من بعيد... على المنصة وهو يرقص بريك دانس، مع رفيق له، على أنغام موسيقى الديجي الصاخبة. حاولت أن أقترب من المنصة وأحييه، لكن كثافة الجمهور وزحمة المكان منعاني، وانتظرت حتى نهاية الحفل، بعد منتصف الليل بقليل، لأصافحه وأهنئه على عرضه الحسن، رقصا وغناء، ثم انصرفت."[45]

يشير الكاتب في رحلته إلى علاقة العرب بالغرب بأنها علاقة حضارية؛ فالبلد الواحد يجمع المسلمين والمسيحيين، يعيشون معا منذ قرون، والكنيسة بجانب المسجد مما يدل على حوار الأديان والحضارات. يقول: "مسلمون يبنون قبايا ومنارات ومسيحيون يردون عليهم بتشييد ما استطاعوا من كنائس، والصدام العرقي يترسخ سنة بعد أخرى. فبين مسجد غازي خسرو بيك وكاتدرائية قلب المسيح مسافة بضعة أمتار، لا أكثر. وبالقرب منهما متحف يهود البوسنة، وهو متحف صغير يضم خصوصا مخطوطات وصورا قديمة تؤرخ للوجود اليهودي في المنطقة. ثلاث ديانات سماوية تجتمع تحت سماء مدينة واحدة، في سلام ظاهري وتشنج داخلي. في الشارع، في الحارات والطرقات الرئيسية، لا يكاد يظهر الاختلاف العرقي."[46]

فالعلاقة بين الأنا والآخر في هذا المقطع السردي هي علاقة سلمية طيبة ظاهريا، لكن ضمنيا يشير الكاتب إلى أنه يوجد تشنج وخلاف، أي وجود حوار بين الأديان وصراعها في الوقت ذاته، وهنا يكشف الكاتب عن حقيقة العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في البلاد الغربية.

إن "قانون احترام الآخر والاعتراف بحقوقه قدر حتمي اعترفنا به أم لم نعترف ، قبلنا به أم لم نقبل، اكتشفناه أم لم نكتشفه، صالحناه أم خاصمناه، ذلك أنه قانون موجود في حركة الحياة وهو طبيعة الحركة الجوهرية للإنسان".[47]

فقد تحدث الكاتب عن صربيا وأن المسلمين محميون فيها لا يمسهم سوء أو أذى، وهذا يدل على قبول التعايش مع الآخر، كما له دلالة على احترام الخصوصيات والأديان من قبل السلطات الغربية. يقول: "ومن المتضررين من هذه النظرة القاصرة الأقلية المسلمة، التي تتركز خصوصا في مدينة سانجاك دوسيميتريفو(من التركية: سنجاق، بمعنى مقاطعة) شرقي البلاد، ووضعها لا يختلف عن وضع مسلمي العاصمة، الذين يمارسون شعائرهم تحت حراسة أمنية مشددة، ففي زيارتي إلى مسجد بلغراد، الواقع بحي دورشول، بالقرب من المدينة العتيقة، والذي يعود تاريخ بنائه إلى حقبة الوجود العثماني منتصف القرن السابع عشر، شد انتباهي وجود دورية شرطة على البوابة الرئيسية، شرطيان وشرطية، بدا المشهد غريبا وغير مألوف بالنسبة إلي. توضأت ودخلت وأديت مع حوالي عشرة أشخاص لا أكثر صلاة العصر. بعده اقتربت من الإمام وهو شاب من أصل ليبي، بلحية كثة وبشرة سمراء فاتحة، يقيم في بلغراد منذ ثلاث سنوات، ويشتغل في مهن حرة، أخبرني أنه يصلي بالناس، من حين إلى آخر، وينوب عنه زميل له في غيابه، وأن دورية الشرطة متواجدة بشكل دائم لحماية المسجد، الذي تعرض للحرق عام 2004 كرد فعل على حرق مسلمين لكنيسة أرثوذكسية في كوسوفو، خلال الاضطرابات الأمنية التي عرفتها المنطقة حينها، وتم ترميم جزء مهم من المسجد سريعا، وأعيد فتح أبوابه للمسلمين، الذين لا يتجاوز عددهم في كل صربيا حوالي 180000 شخص، غالبيتهم من أصول بوسنية ومن جمهورية الجبل الأسود. مسجد البيرق، هكذا اسمه، هو المسجد الوحيد في العاصمة الصربية، الذي يحاول، رغم مساحته الصغيرة، الحفاظ على إقامة الشعائر الدينية، تأكيدا على ترسخ الوجود الإسلامي في المدينة ذات الغالبية الأرثوذوكسية، والتي كانت تحتضن في السابق ثمانين مسجدا."[48]

يشير الكاتب في سرده إلى صعوبة الدخول إلى البلاد الغربية إلى صربيا مثلا، إذ الدخول إليها يتطلب الحصول على تأشيرة، لكنه يؤكد من ناحية أخرى أنه يمكنه بصفته جزائريا الحصول عليها بسهولة لأن العلاقة الدبلوماسية بين الجزائر وصربيا جيدة، فهما بلدان صديقان. يقول: "فكرت في إمكانية منعي من دخول صربيا. كانت المرة الأولى التي شعرت فيها أن العبور لن يكون سهلا، فصربيا، وعلى عكس الدول الثلاث السابقة، اضطررت لطلب تأشيرة قبل الذهاب إليها، تأشيرة قصيرة المدى: لستة أيام فقط، طلبتها من سفارة البلد نفسه في ليوبليانا، لم تكن عملية صعبة بحكم العلاقات الدبلوماسية الجيدة التي تحكم صربيا والجزائر الرسميتين، فهما بلدان صديقان جدا، ويقتسمان حنينا مضاعفا لأيام يوغسلافيا الوردية. مسؤولو صربيا يزورون باستمرار الجزائر، ونظراؤهم في الجزائر يبادلونهم المحبة والمجاملة بتبني مواقف تخدم العلاقات الثنائية، فالجزائر مثلا ترفض الاعتراف باستقلال جمهورية كوسوفو، التي تعترف بها أكثر من مئة دولة عضو في هيئة الأمم المتحدة(من بينها دول عربية مثل مصر،

الإمارات العربية المتحدة، الأردن، قطر، اليمن وغيرها)، وبضعة أسابيع قبل وصولي إلى بلغراد، كانت المدينة نفسها قد احتضنت، دونما مناسبة معينة، أسبوعا ثقافيا جزائريا، عرف حضورا وزاريا مهما. بالتالي، نظريا، من المفترض ألا يشعر الجزائري بعداء من الطرف الصربي، وهو ما لاحظته في سفارة البلد بليوبليانا، حيث لم يتطلب الأمر أكثر من ساعتين، لاستلام التأشيرة، ولكن على المعبر الحدودي شعرت، فجأة، كما لو أن الأمور لن تسير على ما يرام. لا ضمانات بالفرح، ولكن لا مانع من العيش والمشي والركض والتفاؤل بغد أقل سوداوية وأكثر إنسانية." [49]

يؤكد الكاتب خلال سرده لرحلته جسور التواصل بين الشرق والغرب، فعلى الرغم من بعد المسافة بينهما، إلا أن الشرقي يشعر بالغربي وبألمه. يقول: "لست أعرف كيف ولد تعلقي بسراييفو، قبل أن أزورها أو أفكر في زيارتها. كانت جد حاضرة في مخيلتي، كنت كما لو أنني أعرفها وأعرف أهلها. ربما السبب يعود إلى الجرح الذي ما يزال ظاهرا على محياها، تراجيديا الحرب التي ألبستها ثوبا غير ثوبها. سنوات الطفولة في الجزائر، في سن العاشرة، كنا في المدرسة، وفي فرقة الكشافة، نغني لأطفال سراييفو، كنا مثلهم نعيش على وقع الموت والدم، وصور القتل اليومي، مما جعل تقاربنا أمرا طبيعيا وضرورة تاريخية، ومن بين كل مدن البلقان، بدت لي سراييفو قطعة من القلب، ولا تكتمل رحلة في المنطقة دون زيارتها."[50]

يحدثنا الكاتب هنا عن تضامنه مع الآخر الغربي عندما كان طفلا منخرطا في صفوف الكشافة الوطنية، فيظهر الشرقي هنا في مظهر الإنسان الرحيم، الطيب، الخيّر، المتسامح،...، كما يعكس الكاتب إنسانية الأنا العربي ومساعدته للآخر الغربي رغم اختلافه عنه ورغم عيشه نفس الظرف في سنوات التسعينيات . يقول: " لم يكن الغناء لسراييفو ولأطفال سراييفو كافيا، كنا نطوف على بعض المحلات نسألهم مساعدات لنرسلها لقوافل إنسانية، كان من المفروض أنها كانت تتجه لأطفال المدينة المحاصرة. كنا نتضامن مع عالم بعيد عنا، ونحن نعيش وضعا ليس أفضل منهم: قتل وذبح وإرهاب، وترهيب يومي في جزائر تحيا تحت ظل عبثية غير مسبوقة."[51]

يختم الكاتب سرده لرحلته بقوله: " بعد نهاية الرحلة وفصولها، أدركت أن الترحال، مهما اختلفت بقاعه، فهو يعيدنا باستمرار إلى بقاع عرفناها، إلى أمكنة عشنا فيها، وتنفسنا فيها رغبة الاكتشاف ولذة الحلم. السفر إلى الخارج، ليس سوى عودة إلى الداخل."[52]

فالأمكنة التي زارها الكاتب تشبه إلى حد كبير الأمكنة الموجودة في بلده الجزائر، سواء من الناحية الجغرافية أو التاريخية، فكل مكان كان يحل به إلا ويتذكر فيه الأمكنة التي عاش فيها في بلده، رابطا بين واقعها والواقع الغربي.

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة، نستخلص أن كتاب "جنائن الشرق الملتهبة(رحلة في بلاد الصقالبة)"، يمثل أدب الرحلة بامتياز، فقد استطاع صاحبه "سعيد خطيبي" أن يقدم الكثير من التصورات عن الشرق

والغرب بطريقة فنية وأدبية ممتعة، فالقارئ يرتحل مع الكاتب إلى البلاد الغربية، (ليوبليانا، غراد، زغرب، سراييفو، سربرنيتشا، بلغراد، كييف) فيتعرف على تاريخ هذه البلاد، ونفسيات أهلها، وفلسفتهم في الحياة، والأدب، والفن، والحرب، ونظرتهم إلى واقعهم ومستقبلهم، فضلا عن نظرتهم إلى الشرق العربي وعلاقتهم به.

إن غرض الكاتب من سرد رحلته إلى الغرب في نهاية المطاف، ليس التعرف على الآخر فقط، بل التعرف على الذات أيضا، لأن معرفة الآخر تؤدي إلى معرفة الذات، وتغيير الأفكار وتصحيحها عن عالمنا الخاص وعالم الآخر كذلك.

هوامش وإحالات:

---

[1]إدوارد سعيد: الاستشراق(المعرفة، السلطة، الانشاء)، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص 37

[2]ضياء الدين ساردار: صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية، تر: فخري صالح، مراجعة: أحمد خريس، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، ط1، 2012، ص 22

[3]زاهدة محمد طه المزوري: صورة الشرق بين الفلسفة الغربية والاستشراق، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016 ، ص19

[4]قاسم السامرائي: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعي للنشر و الطباعة والتوزيع، الرياض،ط 1، 1983، ص107، 108

[5]حسن حنفي، مقدّمة في علم الاستغراب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، د، ط، 1991، ص 113

[6]مكي سعد الله، مصطلح "الغرب" بين النّشأة الأسطورية والنهاية الكوسموبوليتية، الموقع الإلكتروني: https://www.mominoun.com/، تاريخ الدخول إلى الموقع: 5مارس2025، التوقيت: 15:00

[7]ينظر: إدوارد سعيد، الاستشراق(المعرفة، السلطة، الانشاء)، ص102، 103

[8]ضياء الدين ساردار: صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية، ص22

[9]إبراهيم الحيدري: صورة الشرق في عيون الغرب، (دراسة للأطماع الأجنبية في العالم العربي)، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص13

[10]غسان السيد: صورة الغرب في الأدب العربي: رواية(فياض) لخيري الذهبي نموذجا، مجلة جامعة دمشق، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 24، العدد 3 ،4، 2008، ص91

[11]دلال البزري: الآخر(المفارقة الضرورية)، الطاهر لبيب: صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص 105

[12] عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي والفرنسية في الرواية المغاربية، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر،ط2، 2013، ص65

[13] عامر جميل الصرايرة: جدلية العلاقة بين الشرق والغرب في نماذج مختارة من الرواية العربية المعاصرة من عام(2001-2011)، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة مؤتة، الأردن، 2013، ص14

[14] سعيد خطيبي: جنائن الشرق الملتهبة(رحلة في بلاد الصقالبة)، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2015، ص17

[15] المصدر نفسه، ص ن

[16] المصدر نفسه، ص ن

[17]المصدر نفسه، ص17، 18

[18]المصدر نفسه، ص23، 24

[19]المصدر نفسه، ص32،31

[20]المصدر نفسه، ص55، 56

[21]المصدر نفسه، ص82

[22]المصدر نفسه، ص57

[23]المصدر نفسه، ص67

[24]المصدر نفسه، ص42

[25]المصدر نفسه، ص85، 86

[26]المصدر نفسه، ص87، 88

[27]المصدر نفسه، ص90، 91

[28]المصدر نفسه، ص34

[29]المصدر نفسه، ص48

[30]المصدر نفسه، ص107، 108

[31] دلال البزري : الآخر (المفارقة الضرورية) ،الطاهر لبيب : صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، ص101

[32] سعيد خطيبي: جنائن الشرق الملتهبة(رحلة في بلاد الصقالبة) ، ص29، 30

[33]المصدر نفسه، ص 22

[34]المصدر نفسه، ص26

[35]المصدر نفسه، ص41

[36]المصدر نفسه، ص46، 47

[37]المصدر نفسه، ص ن

[38]المصدر نفسه، ص76

[39]المصدر نفسه، ص127، 128

[40]المصدر نفسه، ص71، 72

[41] غريغوار منصور مرشو، سيد محمد صادق الحسيني: نحن والآخر، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 2001، ص120، 121

[42]إيهاب النجدي: صورة الغرب في الشعر العربي الحديث، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، د، ط، 2008، ص10

[43] سعيد خطيبي: جنائن الشرق الملتهبة(رحلة في بلاد الصقالبة)، ص19، 18

[44]المصدر نفسه، ص22

[45]المصدر نفسه، ص30، 31

[46] المصدر نفسه، ص86

[47] غريغوار منصور مرشو، سيد محمد صادق الحسيني: نحن والآخر، ص135

[48] سعيد خطيبي: جنائن الشرق الملتهبة(رحلة في بلاد الصقالبة)، ص115، 116

[49] المصدر نفسه، ص106، 107

[50] المصدر نفسه، ص74 ،75

[51] المصدر نفسه، ص84

[52] المصدر نفسه، ص150